مقدمة

لقد كان من ديدن الإنسان منذ بدأ الخليقة النظر في الماضي وتسجيل أحداثه وبياناته بغرض الحفاظ على ذاتيته من الاندثار ،ونقل خبرته للأجيال المتلاحقة وصيانة موروثها الثقافي والاجتماعي ،وحمايتها من الاستلاب او التحول والاندثار ،ولا شك ان التاريخ هو الوسيلة المثالية لذلك ،والتاريخ بهذا المعنى هو استمرار رسالة الأجداد في الأجيال المتلاحقة ،لذا يعتبر التاريخ من أقدم الفنون والعلوم التي اضطلع بها البشر ،والتي أفضت إلى تشعب معارفه ومصادره وفلسفاته .

لقد ظل التاريخ لقرون طويلة عبارة عن كتاب تسجيل حوادث السياسة بشكل أساسي ،وأداة طيعة وهامة للسياسيين والمستبدين والطغاة ومن يساندهم من الإقطاعيين ورجال الدين وجميع المتنفذين ،وهو الأمر الذي جعل من التاريخ أيضا وسيلة تكسب للعديد من المؤرخين بتزلفهم للحكام والأثرياء ،وهذا ما حرم الأجيال المتلاحقة من المعرفة التاريخية الحقة وضاعت العديد من الحقائق .

يعتبر ابن خلدون من أهم المؤرخين وفلاسفة التاريخ الذين أعطوا للتاريخ مدلوله الفلسفي والفكري في مقدمته الشهيرة ،حيث يقول :"اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب،جم الفوائد،شريف الغاية،اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ،والأنبياء في سيرهم ،والملوك في دولهم وسياساتهم ..."[[1]](#footnote-1) ويضيف لإبراز زلات المؤرخين ووجوب تجنبها فيقول :"...لان الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل،ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران ،والأحوال في الاجتماع الإنساني،ولا قيس الغائب منها بالشاهد،والحاضر بالذاهب،فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق.."[[2]](#footnote-2)

وهو بهذا التعريف الشامل فتح الباب على مصراعيه لفلسفة التاريخ ،غير أن انحطاط العالم الإسلامي لم يسمح له الاستفادة من علمه وأفكاره ،فالعالم الإسلامي على حد تعبير مالك بن نبي كان قد دخل غي غيبوبته الحضارية الطويلة والمؤلمة ويطلق عليها "مرحلة إنسان ومجتمع ما بعد الموحدين"[[3]](#footnote-3)

لقد لعبت النهضة الأوربية منذ القرن الخامس عشر دورا حاسما في الدفع بالدراسات التاريخية والفلسفية بشكل عام نحو آفاق رحبة وواسعة ،ولاشك أن التناقضات التي ميزت العالم المسيحي الكاثوليكي كانت وراء تلك التساؤلات الجوهرية حول الحقائق التاريخية ،الأمر الذي ولد عددا لا يحصى من الأسئلة والتساؤلات المنهجية والموضوعية والتي كانت سببا في ثورة حقيقية كبرى في المفاهيم .

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر حدثت نقلة نوعية في الدراسات التاريخية ، نتيجة لحالة الوعي الأوروبي، وكرد فعل طبيعي لسيادة النظرة المسيحية في تفسير التاريخ ووقائعه، حيث اعُتبر أن التاريخ هو تحقق المشيئة الإلهية ليس الا.

وأفضت تلك النظرة النقدية إلى نشوء فلسفة التاريخ وهي أفضت إلى نشوء المدارس التاريخية،ومبدأها كان يتجسد بعملية العودة للماضي الإغريقي والروماني وإثارة الأسئلة حوله، والبحث في الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، ورحلات الاستطلاع والاستكشاف للعالم الجديد، والصراع السياسي والاجتماعي بين بلدان أوروبا، ثم الأفكار التنويرية بداية من جوفينو فيكو، مرورًا بمونتسيكيو وروسّو وفولتير، كما أدى اكتشاف قوانين طبيعية يسير وفقها الكون إلى التفكير في إيجاد تفسيرات ونظريات يستطيع من خلالها تفسير الماضي واستشراف المستقبل. وبناءً على تباين التفسيرات للتاريخ ظهرت لنا عدة مدارس حديثة لتفسير التاريخ.

تتجلى أهمية هذه المطبوعة التي نضعها بين يدي الطلبة في مختلف أقسام التاريخ ،في محاولة الغوص عوالم عملية التاريخ والتأريخ ،وهي بقدر ما تتميز بالمتعة لارتباطها بأصول المادة التاريخية والفعل التاريخي فإنها تمتاز بشيء من التعقيد بحكم اتصالها بالفلسفة وبالأخص الفلسفة الغربية ،ومن ثم يتوجب تحصيل بعض المبادئ الأساسية الفلسفية التي تساعد على التحصيل .

ومن اجل ذلك نحاول الفصل في هذه المطبوعة بين المدارس التاريخية في بعدها الفلسفي والمدارس التاريخية في بعدها التقني او المنهجي أي أصول صناعة التاريخ :

فالجانب الأول يرتبط بالأصول النظرية والفكرية للمدارس التاريخية من حيث الدلالات والأبعاد كما هو الحال بالنسبة للمدرسة المادية في محاولتها إضفاء الطابع المادي على السيرورة التاريخية ،اما الجانب الثاني فيرتبط بالمدارس ذات الدلالة الفنية المنهجية في تناول الكتابة التاريخية وكمثال على ذلك المدرسة الوضعية ومدرسة الحوليات .

ويجب الإشارة إلى شح المادة العلمية المتصلة بهذا الاختصاص ،وتحديدا باللغة العربية فالمراجع في هذا المجال ضئيلة جدا ،الأمر الذي يصعب مهمة الباحث ومهمة الطلبة في ضبط المفاهيم والمصطلحات .

1. -ابن خلدون :المقدمة ،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان،1972، ص ص12 . [↑](#footnote-ref-1)
2. - ابن خلدون ،نفس المصدر والصفحة. [↑](#footnote-ref-2)
3. -للتوسع أكثر في هذا المفهوم يرجى استشارة :

   مالك بن نبي :وجهة العالم الإسلامي،تر:عبد الصبور شاهين ،دار الفكر،دمشق . [↑](#footnote-ref-3)